المحور الثاني

القيادة العسكرية
في ضوء القرآن الكريم

العسكرية في الإسلام

على ضوء ما ورد في القرآن الكريم

بقلم الفريق متقاعد

عبدالعزيز بن محمد هنيدي

المقدمة

من أجل أن نتطرق إلى الأسس والمفاهيم والقواعد التي ارتكزت عليها العسكرية في الإسلام على ضوء ما ورد في القرآن الكريم فأنه يجب أن نتطرق إلى الموضوعات الخمس الآتية:

١- الفن العسكري الإسلامي.

٢- العقيدة العسكرية الإسلامية.

٣- الجهاد.

٤- الرسول القائد والمعلم الأول ﷺ وسيرته في الحروب.

٥- القائد المسلم وأهم صفاته.

وسنتطرق من خلال هذه العناوين الخمسة إلى ما ورد في القرآن الكريم عن كل موضوع، ومن المناسب كمقدمة لهذا البحث أن نتحدث عن (العلم العسكري):

العلم العسكري: يعتبر هذا العلم من العلوم الشائعة اليوم والمعروفة لدى كل الناس على الرغم من اختلاف البلدان والأجناس وهو علم لا عنصرية فيه ولا إقليمية، وإنما يأخذ الطابع الأممي مما يتطلب إلى وجوب تحري التطورات ومصادر التوجيه لكي تستطيع الدولة أن تختط سياسة عسكرية واضحة تكون هي العقيدة العسكرية لهذه الدولة كما يجب على القيادات العسكرية أن تقوم بإجراء التمارين لتأصيل هذه العقيدة وممارستها حتى يمكن تطويرها، والصينيون أول ما عنى بالعسكرية كعلم فوضعوا له القواعد والأصول، ويعتبر الفيلسوف العسكري الصيني (صن تزو) من أروع من كتبوا في الإستراتيجية العسكرية والحروب، وكذلك قامت جيوش الإمبراطوريات القديمة مثل الفرس واليونان والرومان على أسس عسكرية واضحة لا تزال باقية حتى اليوم ولكن مع التطور التقني الذي أعقب اختراع الآلة واستعمال البارود أُدخلت الكثير من التعديلات والبدائل على وسائل تطبيق المبادئ العسكرية ومما هو جدير بالذكر أن العصر القديم قد قدم لنا العديد من القادة العسكريين العباقرة الذين خاضوا معارك باهرة مثل (الإسكندر المقدوني) و(هانيبال) و(قيصر) الذي كان أول قائد في التاريخ يعنى بوضع مذكراته الحربية بنفسه وجاء من بعدهم القائد الشجاع سيف الله: خالد ابن الوليد رضي الله عنه ثم جاء القائد الفرنسي المعروف (نابليون بونا برت) ومن بعد نابليون اتخذ العلم العسكري طابعاً حديثاً وظهر هذا الطابع على مرحلتين :

١- المرحلة الأولى: بدأت بـ (نابليون) حتى الحرب العالمية الأولى.

٢- المرحلة الثانية: فهي المرحلة المعاصرة التي بدأت بالحرب العالمية الثانية والتي اتصفت بظاهرة التقنية الحديثة (التكنولجيا) والتي تميزت بهذا العلم الحديث الذي أحدث تغييرات كبيرة في العلم العسكري ، ومن أشهر قادة المرحلة الأخيرة (هتلر) و(دوهت)

و(فوللر) و(ليدل هارت) و(ريفول) و(رومل) و(مونتجمرى) و(ايزنهاور) وعلى ذلك نجد أن الحروب القديمة وتجارب الحرب العالمية الثانية خاصة كانت ذات تأثير حاسم في تكوين العقيدة العسكرية لدى كل دولة، والعقيدة العسكرية في كل دولة تتفرع في تأثيرها وانعكاساتها طبقاً للحياة اليومية والسياسية الداخلية لكن الحرب هي التجربة العملية الوحيدة لأن في المعارك دروساً وعبراً وتجارباً لتكوين العقيدة العسكرية لكل دولة ، والآن إليكم التفاصيل الخاصة بالموضوعات الخمسة الواردة أعلاه وهي:

أولاً: الفن العسكري الإسلامي:

مقدمة:

الفن العسكري بمعناه العلمي يمكن تعريفه بأنه: مجموع الوسائل والأساليب التي تعتمدها أمة لتنظيم الجيوش وتعبئتها وتسييرها وتدبير أمور الحرب وإدارة المعركة بغية تحقيق الأهداف العسكرية[1] ويعتبر القرآن الكريم المصدر الأول من مصادر الفن العسكري الإسلامي فهو الذي حدد أهداف القتال وغاياته في الإسلام، كما ورد في القرآن الكريم الآيات المتعلقة بالقتال والحث عليه عندما يكون القتال ضرورياً ولا مفر منه كما يحدد القرآن مبادئ القتال ليس فقط بل ذهب القرآن ليعلم المسلمين الأساليب والمناورات وحتى آداب السلوك في الحرب، ونذكر نماذج عظيمة مما ورد في القرآن الكريم مما يعتبر من مبادئ وتعاليم القتال وما يندرج تحت مفهوم الفن العسكري الإسلامي:

ففي مجال الاستنفار والتعبئة العامة والإعداد للحرب:

قال تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١ ﴾[التوبة:٤١]، وفي مجال الحيطة والحذر والانتشار كمجموعات متفرقة أو سرايا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١ ﴾[النساء:٧١]، وفي مجال التعبئة المادية والأعداد للحرب قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠ ﴾[الأنفال:٦٠]، كما وردت في القرآن الكريم آيات أخرى ترشد المسلمين

(١) كتاب الفن العسكري الإسلامي للعميد د. ياسين سويد.

إلى الوسائل والمعدات اللازمة للقتال هجوماً ودفاعاً ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[الحديد:٢٥]، وفي مجال الدروع ولباس الحرب الذي تقي من الطعن والضرب في القتال قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾[النحل:٨١]، وأيضا في مجال الدرع وما يلبس وما يستخدم من سلاح في القتال قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[الأنبياء:٨٠].

وبعد أن أوردنا مقدمة وتعريفاً بالفن العسكري الإسلامي وبعض ما ورد في القرآن الكريم عن القتال باعتبار أن القرآن هو المصدر الأول من مصادر الفن العسكري الإسلامي فمن المناسب أن نتحدث عن الفن العسكري عند العرب قبيل الإسلام.

الفن العسكري عند العرب قبيل الإسلام:

كثير من المؤرخين وخاصة المؤرخين الغربيين ينكرون على عرب الجاهلية أن يكون لهم فن عسكري ولكن الواقع أن هذا غير صحيح، وقبل التوغل في الموضوع فمن المناسب أن نشير إلى أن عرب الجاهلية كان بينهم منازعات ومناوشات تجري بين القبائل دون غاية سامية ولفترات يسيرة ولا يمكن أن تعتبر حرباً، لكن ما يمكن أن نسميه حرباً هي حرب داحس والغبراء بين قبيلتيّ عبس وذبيان وحرب البسوس بين بكر وتغلب وحرب الفجار بين كنانة وقيس وحرب المناذرة والغساسنة، وكانت غايات الحرب في الجاهلية هي من أجل (الغزو) بسبب التنافس على المراعي وموارد المياه في أغلب الأسباب، وكانت الضرورة والأسباب الاقتصادية تحتم الغزو لاستمرار الحياة للأقوى على حساب الأضعف ثم بعد حين يقوي الضعيف ثم ينتصر على من غلبه في الماضي وهكذا دواليك، كما كان من أسباب الحرب في الجاهلية (أخذ الثأر) ممن اعتدى أو قتل أحد أفراد القبيلة أو ربما أساء للقبيلة بالقول مما دنس اسم القبيلة، وعدم الأخذ بالثأر يعرض القبيلة للإهانة والانتقاد والذلة بين القبائل لذلك تحرص القبائل العربية على الأخذ بالثأر، وكانت وسائل القتال الفردية لا تتعدى القوس والسهم والرمح والسيف والدبوس والفأس والخنجر كما عَرَفَ العرب بعض الأسلحة الجماعية مثل المنجنيق والعرادة والدبابة أو الضبر.

الفن العسكري الإسلامي بعد الأمر بالقتال:

عندما نزلت الدعوة الإسلامية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع المسلمون ما نزل من القرآن الكريم من الهدى ودين الحق وعندما بدأ الإسلام ينتشر في المدينة المنورة ومكة المكرمة وخاصة بعد هجرته ﷺ إلى المدينة وبعد أن نزلت الآيات المحكمات من القرآن الكريم عن قتال المشركين الذين استمروا في معاداة المسلمين وإيذائهم، وكمثل على ذلك ما قاله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٦ ﴾[الأنفال:١٥، ١٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤ ﴾[الصف:٤]، وما قاله ﷺ عن أهمية تلاحم المؤمنين وتكاتفهم وتعاونهم حيث قال ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" وما كان يقوم به ﷺ في معركة بدر باستعراض المسلمين وتسوية صفوفهم ليدل على أهمية التنظيم للجيش وضرورة استعراض الجنود وتفقدهم وبعد أن عرف المسلمون قتال الكر دون الفر والزحف والصف بعد كل ذلك حصل تغير جذري في المجتمع العربي من عصر الجاهلية إلى عصر الإسلام وكانت نقلة كبيرة من المجتمع القبلي الجاهلي الذي يسعى للغزو والنهب والسلب والأخذ بالثأر إلى الجهاد في سبيل الله فتحولت النزعة البدوية المتأصلة في عرب الجزيرة والتي تحث على الظلم والأنانية والحقد والكراهية واستبداد القوي بالضعيف وتمييز الأبيض على الأسود بسبب العنصرية والجهل استبدل كل ذلك تدريجياً بحب نشر الدعوة الإسلامية ونبذ الظلم والاهتمام بالعدل والمساواة والمحبة كما أشعل الإسلام في نفوس المسلمين الحماس وأخذ أحسن ما لدى الروم والفرس من فنون الحرب والقتال فقلدوهم وطوروا ما رأوه عندهم إلى أحسن منه وبسرعة مذهلة لم يشهدها التاريخ من قبل.

غاية الحرب في الإسلام:

كما ذكرنا عن ما سببته الدعوة الإسلامية من تحول كبير في المجتمع العربي وتغير في نفسية الإنسان العربي وعقليته وكانت مظاهر تلك العقلية الجاهلية تبدوا من خلال مساوئ الأخلاق مثل الأنانية والظلم وتسلط القوي على الضعيف وحب الثأر ومعاقرة الخمر وغير ذلك من الفساد كل تلك المساوئ بدأت تزول تدريجياً إلى غير رجعة ليحل محلها التسامح والتضحية وحب الإيثار وروح الأخوة والمحبة في الله، كل ذلك أدى إلى تبدل غاية الحرب لتسير في فلك العقيدة السماوية، ومن أهم تلك الغايات السامية الجهاد في سبيل الله ويتولد من الجهاد ردع العدو وصد الفتنة عن دين الله وزيادة انتشار الإسلام بين الأمم كل ذلك يؤدي بتوفيق الله إلى الأمن واستتبابه والاستقرار مما ينشر أجنحة السلام ، وكل ذلك يؤدي إلى حياة أكثر سعادة وطمأنينة وحضارة وبذلك تتحقق الآمال والطموحات.

ثانياً: العقيدة العسكرية الإسلامية:

مقدمة: في القرآن الكريم كثير من الآيات التي لها علاقة بالعقيدة العسكرية الإسلامية ولكني ركزت على الآيات الثلاث التالية، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾[آل عمران:١٧٣]، وقال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة:٥١]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[التوبة:٥٢].

وبهذه الآيات البينات يتضح بجلاء وبقوة وبلاغة وإيجاز وإعجاز قراني إلى وصف النفس المؤمنة التي تهزأ وتستخف بأعداد وقوى الأعداء مهما كانت من الجند والقادة لأنهم موقنون تمام اليقين أن النصر والهزيمة من الله تعالى وأن النصر دائماً يكون حليف المؤمنين المجاهدين في سبيله، وأن الهزيمة إن وقعت فما هي سوى اختبار ودرس وموعظة من الله سبحانه وتعالى وأنه يجب أن لا تنخفض معنوياتهم ولكن عليهم أن يراجعوا أنفسهم ويخشون أن الهزيمة وقعت بهم بسبب ذنوبهم أو نقص في إيمانهم ثم لا يلبثون أن يعودوا لله تعالى مستغفرين عابدين متفائلين ومستعدين لجولة أخرى على العدو ومؤمنين أن جند الله المرئية وغير المرئية تقاتل معهم وأن الله يمد المؤمنين بالملائكة لتقاتل معهم وبجنود لا يعملها إلا الله وهم يقاتلون متوكلين على الله تعالى فإما النصر أو الشهادة (إحدى الحسنيين) وإن كانت الثالثة (الهزيمة) فهي درسُ وموعظة ومراجعة –كما ذكرنا–.

ونعود بعد هذه المقدمة القرآنية العظيمة عن العقيدة العسكرية الإسلامية في القرآن لنتحدث عن العقيدة المذكورة بعد أن أصبحت تشكل هاجساً قوياً في العصر الحديث واهتم بها المفكرون والباحثون العسكريون وخاصة بعد أن تطور علم الحرب وفنونه وتطورت العقائد والأسلحة العسكرية وموضوع العقيدة طويل ولكن يمكن تلخيصه والتركيز على المبادئ والأسس المهمة، ولتوضيح أهمية العقيدة العسكرية فنقول إنها المثُل العليا التي يؤمن بها الإنسان فيضحي من أجلها بالنفس والمال لأن عقيدته أغلى وأثمن من الأنفس والمال، والعقيدة هي مجموعة المبادئ أو المفاهيم والسياسات التي ترى الدولة أنها الأفضل للصراع المسلح حيث إن الطائرات والدبابات والصواريخ والذخيرة والعتاد وغير ذلك من الأسلحة ما هي سوى كتل من الحديد صنعها الإنسان لاستخدامها في الحرب لكن الإنسان لا يزال هو المسيطر على كل تلكم الأسلحة والعتاد وبدون الإنسان لا قيمة لأي سلاح مهما كان متطوراً وحديثاً، والعقيدة أيضا هي السياسة العسكرية المعبرة عن وجهات النظر الرسمية للدولة لرسم القواعد

الأساسية للصراع المسلح وطرق إدارته والأسس الجوهرية لإعداد البلاد للحرب، وبعد هذه المقدمة عن العقيدة نورد تعريفاً دقيقاً عن العقيدة العسكرية:

تعريف العقيدة العسكرية: هي مجموعة المبادئ أو المفاهيم والسياسات المتخذة كدليل لبناء واستخدام القوات المسلحة في المستويات الثلاث، (الإستراتيجية والعملياتية والتكتيكية) بهدف دعم الإستراتيجية الوطنية لتحقيق أهدافها[1]، وتشكل العقيدة العسكرية، الأرضية الواسعة لتنظيم وتسليح القوات واستخدامها لما تحتويه هذه العقيدة من مبادئ وأسس ومفاهيم راسخة، ومن العقيدة العسكرية تستمد الإستراتيجية العسكرية وفروعها، وبينما تعُنى الاستراتيجية العسكرية بالتطبيق الفعلي للنظريات العسكرية بطرح النظريات والمبادئ والأساليب النموذجية فنجد مثلاً أن مبادئ الحرب وأسس عمليات القتال وقواعد التدريب وأسس التنظيم ما هي إلا نماذج لمحتويات العقائد العسكرية، وللعقيدة العسكرية شقان يكمل كل منهما الآخر وهما:

١ــ الشق النظري: وهو الذي يركز على النواحي الفكرية والتخطيطية.

٢ ــ الشق التطبيقي: وهو الذي يهتم بالنواحي العملية والتنفيذية، وهذا الشق يظهر في كافة مستويات الأداء العسكري سواء الاستراتيجي أو العملياتي أو التكتيكي.

مستويات العقيدة العسكرية:

العقيدة العسكرية لها ثلاث مستويات متدرجة لا تنفصل عن بعض وتشكل جميعها العقيدة العسكرية وهي:

١ــ **المستوى الأول: العقيدة الأساسية،** يمثل هذا النوع النطاق الواسع والمفهوم العام لكل من النوعين الآخرين فهذا النوع هو عبارة عن وجهة النظر السياسية تجاه كثير من الأمور التي تتعلق بالعمل العسكري بشكل عام مثل طبيعة الحرب والهدف العسكري ومبادئ الحرب وعلاقة القوات المسلحة مع أي تشكيلات عسكرية أخرى ، وهذه العقيدة الأساسية ذات طبيعة ثابتة لأنها تنطبق على المفاهيم وليس الأساليب.

٢ــ المستوى الثاني: العقيدة البيئية: هذا المستوى هو مجموعة من العقائد حول استخدام كل فرع من أفرع القوات المسلحة (القوات البرية، القوات الجوية، القوات البحرية، قوات الدفاع الجوي) في بيئة العمليات الخاصة سواءً في البر والجو أو البحر، وبتقدم تقنية الفضاء بصورة عالية لدرجة أننا نعتبر الفضاء بيئة رابعة للعمليات حيث نسمع هذه الأيام تعبيرات جديدة مثل حرب الفضاء أو حرب الكواكب

(١) التعريف هذا من الرائد الركن سابقاً رشيد السبيعي في مجلة الملك خالد العسكرية العدد ٤١ عام ١٤١٣هـ حسبما ورد في أطروحة العقائد العسكرية للمقدم فني سابقاً علي عبدالله العمري من منسوبي القوات الجوية الملكية السعودية.

أو حرب النجوم، وهذا النوع من العقيدة يتميز بعدة خصائص وهي أنها تستخدم في نطاق أضيق من نطاق العقيدة الأساسية لأنها تتصل بعمل قوة عسكرية واحدة في وسط معين وكذلك تتأثر هذه العقيدة كثيراً ببعض العوامل مثل الموقع الجغرافي والتقنية الحديثة بجانب أنها تختص بالمستوى العملياتي فقط.

٣ــ المستوى الثالث: العقيدة التنظيمية: وهي تمثل المفهوم الأساسي لإدارة التنظيم العسكري الخاص أو مجموعة التنظيمات المرتبطة عسكرياً بشكل وثيق وتوضح هذه العقيدة الأدوار والمهام المناطة بالتنظيم (الوحدة العسكرية) والأهداف الحالية والتنظيم المتبع للقوات ومبادئ استخدام هذه القوات حسب تأثرها بالوضع الراهن وأحياناً بالتكتيك العسكري وهذه العقيدة التنظيمية هي أكثر العقائد تغيراً وأضيقها نطاقاً عن بقية العقائد المذكورة.

مبادئ العقيدة العسكرية وتطويرها:

ويمكن أن نقسمها إلى خمسة مبادئ:

١- تعبر عن الأفكار الرسمية للدولة حيث تتولى القيادة السياسية العسكرية العليا للدولة مهمة تحديد المبادئ الأساسية التي تبنى عليها العقيدة باعتبار هذه القيادة السلطة الوحيدة المسؤولة عن توجيه البناء العسكري للدولة وبتبني القيادة السياسة لمبادئ وقواعد العقيدة العسكرية يمد هذه العقيدة بالقدرة على التأثير المباشر في كافة أجهزة الدولة المختلفة.

٢- تتأثر العقيدة بالتغيرات الجذرية في الأفكار والمفاهيم السياسية والعسكرية لذلك فإن الحروب المتزامنة تختلف اختلافاً كبيراً في أساسها وطبيعتها وأهدافها السياسية كما تختلف في مداها ووسائلها وأساليب إدارتها.

٣- أوقات السلم فرصة جيدة لوضع أحكام العقيدة العسكرية حتى تتاح فرصة اختبارها وتجربتها أثناء الحرب حيث تخضع للتجربة ويتم استبعاد الأفكار التي لا تتفق مع النواحي التطبيقية.

٤- رغم أن العقيدة العسكرية تحدد الاتجاه الأساسي للبناء العسكري للدولة إلا أن العقيدة في نفس الوقت ذات طبيعة عامة لا تقيد الفكر العسكري وتسمح له بالانطلاق وتمنع الجمود وتسمح بالتطور.

٥- تتصف العقيدة العسكرية بالمرونة فهي تنظر إلى المستقبل وتستفيد من الخبرات السابقة وتتجاوب مع كل ما هو جديد في العلم العسكري وتتجاوب بسرعة مع أي تغييرات تطرأ على العلاقات السياسية بين الدولة وجيرانها والتحولات التي تحدث في النظم العامة الدولية.

التميزُ الإنساني للعقيدة العسكرية الإسلامية:

تتميز العقيدة العسكرية الإسلامية باعتمادها على العامل الإنساني أثناء الحروب فلم يكن القصد من الفتوحات إبادة العنصر البشري ولا الفتح من أجل الاستعمار وسلب أموال الشعوب ونهب مصادر اقتصادها وإهانتها وقهرها كما يحصل هذه الأيام، وكانت معاملة أسرى الحرب معاملة إنسانية وليست بربرية ووحشية كما كانت معاملة الأطفال والشيوخ والنساء في البلاد التي يفتحونها معاملة راقية وإنسانية كما كان المسلمون يحرصون على عدم تدمير المكتبات ودور الثقافة وكل ما يمت للتراث والحضارة بصلة، ويتعدى الأمر إلى الاهتمام بالأشجار والحيوان فلا يقطعون شجرة خضراء أو يقتلون حيواناً إلا بالحق، وكانت أهم صفات المسلمين عند الفتح التسامح والصفح حسبما تقتضي به تعليمات الدين الإسلامي الحنيف، وكان النبي محمد ﷺ قدوة حسنة في أقواله وأفعاله مع الجميع ومع المشركين والأعداء بصفة عامة وخاصة أثناء الحروب حتى إنه ﷺ يأمر قادة المسلمين بأن لا يسيئوا معاملة الأسرى ولا حتى من خانوهم من المشركين والحقوا الضرر بهم فلا يسعون لأخذ الثأر منهم لأنه عليه السلام يعطي الصورة الجميلة عن الدين الإسلامي ومخافة الله تعالى كما يأمل عليه السلام أن يتحول المشركون للإسلام أو أن يأتي من أصلابهم من يؤمن بالله تعالى وهذا فعلاً ما حصل وكلنا يعرف القادة البارزين في كثير من الميادين من المسلمين الذين كان آباؤهم من المشركين، وهكذا نجد أن قادة المسلمين كانوا حريصين على الإنسانية والرحمة أثناء القتال وعلى رأسهم عمر بن الخطاب ﷺ وخاصة عند فتح بيت المقدس لذلك تم فتح جميع بلاد الفرس وسوريا وأرمينيا وأواسط آسيا الشرقية ومصر وجزء من شمال أفريقيا في أقل من خمسة وعشرين عاماً بعد وفاة الرسول ﷺ وهذا رد واضح على الحاقدين ممن ذكروا أن الإسلام في فتوحاته استخدم السيف وأراق الدماء بينما الإسلام طبق سياسة ثقافة الأخلاق في الفتوحات ولم يستخدم ثقافة القوة –كما يحصل هذه الأيام– وكان قادة الفتح الإسلامي يعرضون على أهالي البلاد أن يُسلموا ويكونوا إخوانا للمسلمين لهم كافة الحقوق أو أن يدفعوا الجزية ويظلوا على دينهم وإذا كان الخيار هو الحرب وأصبح ضرورة فإنهم يتعاملون مع الأعداء بأسلوب أخلاقي رفيع.

مصادر العقيدة العسكرية الإسلامية:

تستقي العقيدة العسكرية الإسلامية مصادرها من الكتاب والسنة وهما الوثيقة الإستراتيجية العظيمة التي تحكم هذه العقيدة فالقرآن الكريم هو الدستور الذي يعتبر أعظم الدساتير التي عرفتها الإنسانية في تاريخها الطويل حيث يتضمن كل القواعد القوية الكفيلة بقيام المجتمع الإنساني السليم، أما السنة الشريفة فهي كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو عمل فكانت السيرة النبوية الشريفة بياناً عملياً لما ورد في القرآن الكريم من مبادئ وأسس وقد ترك القرآن للنبي ﷺ التفاصيل والتنفيذ

والشرح المفصل للمسلمين، لذلك كله فالقرآن والسنة هما مصدر العقيدة العسكرية الإسلامية التي عرفت بالوضوح والاستقرار والثبات لأنها من هدى الدين الحنيف الذي جاء من الله تعالى الذي هو خالقنا عز وجل وأعرف بما ينفع عباده وما يضرهم، ولم تأت العقيدة العسكرية الإسلامية ميراثاً من الحروب البشرية لذلك كان هناك فرق وبون واسع بين الرسالة السماوية وما جاء من صنع البشر مثل العقائد العسكرية غير الإسلامية وربما كان هذا التميز للعقيدة الإسلامية السماوية من أهم الأسباب لتذمر ذوي القلوب المريضة وادعائهم أن العقيدة الإسلامية تدعو للجهاد والذي يدعون ظُلما أنه يسبب الإرهاب وهذا لا شك يرجع لحسدهم وغطرستهم التي تعميهم عن الحقيقة.

طابع العقيدة العسكرية الإسلامية:

اتسم النظام الشامل للحرب في الإسلام بمبدأين، هما الرحمة والعدل، لذلك انطبعت العقيدة العسكرية بالطابع السلمي الدفاعي، ويظهر ذلك جلياً من خلال مظاهر عديدة، وأهمها المظاهر الخمسة التالية:

١- الإسلام دين السلام: لا شك أن السلام هو الأهم في الفكر الإسلامي ومن الأهداف الرئيسة التي يسعى لها الإسلام ويكفينا القول أن كلمة (الإسلام) لها علاقة كبيرة بالسلام والاستسلام لله تعالى وتطبيق ما أمرنا الله به وترك ما نهانا الله عنه، وأن من أسماء الله الحسنى (السلام) وأن تحية المسلمين الأولى (السلام عليكم) كما سمى الله تعالى الجنة بدار السلام.

٢- الإسلام والمجتمع الإنساني: ينادي الإسلام بأن كل الناس أسرة واحدة كبيرة تسود بينهم روابط التعاون لخير المجتمع ولا يفرق بين الألوان والأجناس فكلهم أخوة مسلمين لذلك فالإسلام ينظر للإنسان بصفة عامة نظرة تكريم واحترام ويكفل للإنسان كرامته وحقوقه في حياة كريمة من خلال مكارم الأخلاق، ويحرص الإسلام على محاربة الفساد ومساوىء الأخلاق مثل الظلم والاستبداد والتكبر والاستعلاء والعنصرية بكل أشكالها لأن بني البشر من نسل آدم عليه السلام وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا فلا يجوز استعبادهم كما قال الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ.

٣- عدم الإكراه في الدين: يدعو الإسلام للمحبة والأمن والسلام لجميع الأمم لذلك كانت رسالة نبينا محمد ﷺ للناس كافة حتى تتوحد العقيدة والمشاعر، لأن الإسلام دين الفطرة، والأصل أن يكون الناس كلهم مسلمين لأنهم يولدون على الفطرة لكن الوالدين هما الذين يهودان أو يمجسان أو ينصران أبناءهم، وقد قامت الدعوة الإسلامية على البر والتقوى واحترام حرية الاختيار، وانتشر الإسلام بالإقناع والأدلة والبراهين واستخدم الموعظة الحسنة والحكمة والقدوة الحسنة ولم يقم بالإكراه واستخدام القوة والسيف كما يدعي ذوو القلوب المريضة ولو تم ذلك واستخدمت القوة والعنف والإكراه لعاد الناس لدينهم القديم خفية أو بعد ضعف الخلافة الإسلامية أو انتقلوا لبلاد أخرى ولكن

الإسلام لا يجبر أحداً على الإسلام، لذلك قال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ [البقرة:٢٥٦].

٤- القتال مكروه في الإسلام: نظراً لأن الإسلام يركز على الأمن والسلام وعدم الاعتداء ويحث على التسامح والمحبة وعبادة الله على بصيرة لذلك نجد أن الآيات التي وردت في القرآن عن القتال تبين كراهية القتال إلا في الضرورة مثل رد العدوان أو الدفاع عن الدعوة وحرية الدين ورغم أن القتال مشروع عند الضرورة –كما ذكرنا – إلا أن الإسلام وضع قواعد راسخة يمنع فيها العنف وإرهاب الضعفاء مثل الأطفال والنساء وكبار السن والمرضى والمعوقين وحتى يمنع إحراق الشجر وقتل الحيوان إلا بالحق، كما يمنع الإسلام إيذاء الناس وإخراجهم من ديارهم وترويع أمنهم لأن في ذلك فتنة أشد من فتنة القتل، والإسلام حين أمر بإعداد القوة والاستعداد للحرب إنما يهدف من ذلك لإرهاب العدو وإخافته من عاقبة التعدي على الأمة الإسلامية وهذا من أسلوب الردع دون الحاجة للقتال.

٥- فض النزعات بالطرق السلمية: الإسلام لا يترك النزاعات حتى تكبر ويستعصي حلها بل يأمر بفض النزاعات والتدخل بالطرق السلمية، وكذلك يأمر بالتعاون بين المسلمين على إقرار السلام والأمن ويدعو الإسلام كذلك إلى فض المنازعات بين الأطراف المتحاربة ولو أدى ذلك إلى القتال ضد الدولة الطاغية حتى تعود إلى الحق والسلام.

ثالثاً: الجهاد:

مقدمة: بعد أن تحدثنا عن العقيدة العسكرية الإسلامية فإنه من الجدير بنا أن نتحدث عن الجهاد باعتباره جوهر العقيدة العسكرية الإسلامية وهذا ما يميز العقيدة المذكورة عن غيرها من العقائد العسكرية في العالم، ومن المعروف أن العقيدة المذكورة قد قامت على مبادئ أساسية استمدت من القرآن والسنة وبعد أن نزلت الآيات الكريمة التي تحث على الجهاد في سبيل الله تعالى مثل ما قال الله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾[الحج:٧٨]، وقال تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[التوبة:٤١]، وقال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ ﴾[البقرة:٢١٦] بعد ذلك اتضح للمسلمين أهمية الجهاد وأحكامه واتضح أن من أهم مبادئ العقيدة العسكرية الإسلامية الجهاد في سبيل الله تعالى، وقد أنعم الله تعالى على المجاهد في سبيله بأعلى الدرجات في الجنة، وقد قال رسول الله ﷺ: "**الجنة بها مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله وما بين الدرجتين هو ما بين السماء والأرض**" رواه البخاري، وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وقد قرن الله تعالى الجهاد بالإيمان وجعله دليلاً عليه وثمرة من ثماره، والجهاد هو

جهاد بالنفس وبالمال ويجب أن نعلم أنه تعالى عندما أمر بالجهاد في سبيله وجعله تكليفاً أوضح تعالى أن الهدف من الجهاد ليس لغرض مادي أو دنيوي أو إسقاط نظام أو حسد أو انتقام من سلطة أو ليقال أن فلان شجاع ومقدام ليتفاخر بذلك أمام الناس كما لم يكن الجهاد اغتصاباً لحق أو منازعة لسلطان أو عدواناً على أحد أو خروجاً عن طاعة ولاة الأمر، ولكن الجهاد هو لهدف سامي عظيم وهو إعلاء كلمة الله التي هي الحق والعدالة والرحمة والأمن والسلام للفرد في نفسه ودمه وماله وعرضه وللأمة الإسلامية في كرامتها وعزتها ومقدساتها وأراضيها، وكان رسول الله ﷺ يحث المؤمنين على الجهاد وكان ﷺ قدوة رائعة في الجهاد في سبيل الله كما هو معروف.

أحكام الجهاد:

للجهاد أحكام فهو إما مفروض على المسلمين جميعاً لا يسقط عن بعضهم إذا قام به الآخرون ويسمى في هذه الحالة (فرض عين) وإما أن يكون مفروض عليهم (فرض كفاية) يقوم به بعضهم فيسقط عن الباقين، والجهاد يكون (فرض عين) إذا صدر من أولياء الأمر لجميع أفراد القوات المسلحة فإنه يجب على أهل هذا البلد أن يواجهوا العدو كل بما يستطيع من قوة ولا يتخلف أحد فإذا عجز أهل البلد عن مقاومة عدوهم وجب الجهاد على جيرانهم من المسلمين وهو بذلك واجب على المسلمين لأن المسلمين كلهم يد واحدة ضد أعدائهم كما يكون الجهاد (فرض كفاية) إذا كان بلد ما قادراً على الدفاع والقتال ضد الأعداء دون الحاجة إلى معاونة الجيران من المسلمين وكذلك إذا كان المسلم ممن لا يستطيعون الجهاد بسبب المرض أو غير ذلك من الأعذار الشرعية، وبشكل عام فإن الجهاد يصبح فرض كفاية إذا كان موقع المعركة خارج حدود بلاد المسلمين، والمسلم الحق لا بد أن يكون على استعداد تام لتلبية نداء الجهاد سواء في السلم أو الحرب فالجهاد من الناحية المعنوية استعداد معنوي بقوة الإيمان ويثبت الاعتماد على الله ثم على النفس ويزيد من القدرة على الاعتماد على النفس ويزيد في المعنويات (الروح المعنوية)، أما من الناحية المادية فهو يقظة وحذر واستعداد لصد العدوان وهو إعداد للقوة بكل ما تنطوي عليه من عناصر كالتسلح والتعليم العسكري والتدريب والصناعة الحربية وشق الطرق وبناء الجسور والمطارات والقواعد الجوية وتجهيز المواقع وبناء الهيكل التنظيمي للقوات المسلحة وحراسة المنشآت وحراسة وحماية الحدود والاستطلاع وكل ما يتعلق بالإنذار المبكر عن العدو والحرص على طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ ثم ولاة الأمر، والاتصاف بالانضباط والحيوية وخفة الحركة، والجهاد يمنع الضعف والكسل والخور والخوف والاعتماد على الآخرين ليحموا ديار المسلمين ولا يقوم الآخرون بالدفاع عنك وحمايتك إلا بثمن كبير وسيطرة وتحكم على الدول المدافع عنها.

فوائد وثمرات الجهاد:

بجانب ثواب الله تعالى للمجاهدين في سبيله أن يدخلهم أعلى درجات الجنة فإن الله تعالى يغفر ما تقدم من ذنوبهم وأن ينصرهم على أعدائهم وقد شبه الله تعالى الجهاد في سبيله بأنه تجارة رابحة معه تعالى، بجانب أن تطبيق الجهاد يعطي للأمة الإسلامية القوة والمنعة والهيبة حيث إن قوة الأمم لا تقاس فقط بقوة جيشها ولكن تقاس أيضا بقوة كيانها العسكري كاملة حيث يكون الكيان العسكري للأمة مبنياً على قاعدة عريضة من جميع أبناء الأمة الإسلامية في ظل إحساس عام بالمسؤولية للذود عن حمى الدين ثم أوطان المسلمين والدفاع عن حق وشرف الأمة وفي مثل هذه البيئة القوية يزداد الإيمان ويستظل به الجميع ، وفي ظل هذا الكيان العسكري القوي ترتفع درجة التأهب والاستعداد ويشعر الجميع بالأمن والطمأنينة ضد أعداء الأمة وتزداد هيبة الأمة وسمعتها وبالتالي يخشاها العدو ولا يفكر في الاعتداء عليها فكأن الجهاد وسيلة ردع للأعداء، كما أن الجهاد يقوي من عزيمة وشخصية المسلم ويجعله قادراً على حمل واستخدام السلاح إذا أمُر بذلك من ولاة الأمر كما يكون لدى المسلم إلمام بالعلم العسكري والتمارين والمناورات العسكرية وبالتالي تزداد رجولته ويعتبر كأنه احتياطي لو احتاجت له الدولة في أي وقت وخاصة في مجال الأمن ومحاربة الإرهاب.

مبادئ الجهاد العامة: كما ذكرنا فإن الدين الإسلامي وضع قواعد ومبادئ للجهاد راسخة باعتبار أن الجهاد جوهر العقيدة العسكرية الإسلامية كما ذكرنا، ومن أهم مبادئ الجهاد العامة المبادئ الـ(١٣) الآتية:

١- يعقد المسلم بإسلامه عقداً مع الله تعالى بأنه باع نفسه لله تعالى للجهاد في سبيله بالمال والنفس واشترى الله منه ذلك بالجنة فيجب على المسلم أن يعتني بما عاهد الله عليه وأن ينفر إلى الجهاد كلما دُعي إليه من ولاة الأمر.

٢- يؤمن بنصر الله تعالى لأنه تعالى كتب على نفسه نصرة المسلمين وأنه تعالى ناصر من ينصره حقاً وصدقاً.

٣- يؤمن المسلم أنه رابح بجهاده فإن رجع سالماً يكون له حسنى الجهاد وثوابه وكرامته وأنه قد أدى الواجب وإن قتل فله الحسنى: الشهادة والجنة.

٤- يتعرض المسلم للاختبار عند الجهاد فيجب أن لا يضعف أمام العدو ولا يهين ولا يلين في جهاده.

٥- شهداء الجهاد أحياء عند ربهم يرزقون ويكرمون بالجنة ويتمتعون بكل أسباب النعيم.

٦- يؤمن المسلم بأن الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس أفضل شيء لدى المسلم من أي شيء في الدنيا حتى أهله.

٧- ينال المسرع الغير متردد في الجهاد في وقت الشدة جزءاً وأجراً كبيراً من عند الله فلا يتقاعس ويهرب من الجهاد.

٨- الفرار من المعركة جريمة لا تغتفر إلا إذا كان لحاجة بسبب تكتيك أو خدعة عسكرية (الكر والفر).

٩- الاستماتة في سبيل الله واجب إلزامي على كل مجاهد.

١٠- الإهمال في الجهاد وعدم التأهب والاستعداد والتخلف عن الجهاد وعرقلته ابتغاء الفتنة جريمة تستحق غضب الله وعقوبته.

١١- المبايعة على السمع والطاعة والوفاء بالوعد والصدق في العهد من أهم مبادئ الجهاد.

١٢- يجب مطاردة العدو ومتابعته حتى يتحقق بعون الله النصر وعدم التسليم والترفع عن الغنائم والرياء والطمع، وتذكر ما عند الله للمجاهدين.

١٣- عدم الاختلاف في المعركة وعدم التشاؤم من الهزيمة للمحاربين المسلمين واعتبار الهزيمة لو حصلت (لا قدر الله) فهي اختبار وعبرة ومراجعة لما حصل من تقصير في حق الله تعالى وربما حصلت الهزيمة بسبب الذنوب.

تشويه الجهاد:

نظراً لأهمية الجهاد في الإسلام وماله من ثمرات وفوائد عظيمة تؤدي إلى عزة وكرامة الأمة الإسلامية وردع الأعداء والحفاظ على كيان الإسلام والعقيدة العسكرية الإسلامية فإن أعداء الإسلام درسوا الجهاد وتأثيره على معنويات المسلمين وقوتهم واستقلالهم وتقدمهم واعتمادهم على أنفسهم فأثاروا الشبهات حول الجهاد ووصفوه بأنه وسيلة من وسائل الإرهاب وأنه يجب أن يتوقف ونعتوا الجهاد ظلماً بأنه معاد للأديان الأخرى وأنه يدعو للعنصرية، بل واجتهدوا في التضليل ولا يستغرب ذلك من أعداء الدين الإسلامي الذين ربطوا الإسلام عامة بالإرهاب وهم يعلمون أو على الأقل يعرف علماؤهم ومفكروهم أن الجهاد في سبيل الله لا يقصد منه الاعتداء على أحد وأن مبادئه وأحكامه واضحة – كما أسلفنا- فعلى المسلمين أن لا يتأثروا بما يسمعون من ضعاف النفوس والحاقدين وأن يسعى المتفقهون في الدين في شرح نظريات الجهاد لغير المسلمين كلما سنحت الفرصة، وعلى المسلمين التمسك بدينهم وعقيدتهم ويسألون الله تعالى أن يعينهم على الحق وأن يُبعد عنهم كيد الأعداء إنه سميع مجيب.

رابعاً: الرسول والقائد والمعلم الأول: محمد ﷺ، وسيرته في الحروب:

مقدمة:

كان محمد بن عبدالله ﷺ رسولاً ونبياً وقائداً ومعلماً في السلم والحرب، وقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء:١٠٧]، وكان وما يزال ﷺ قدوة حسنة لكل الناس فالحاكم والعالم والزعيم والقائد والمعلم والتاجر والقاضي والعابد والمتزوج والأعزب واليتيم وكل تخصص وكل فئة تجد فيه ﷺ القدوة والمثل الأعلى لها فقد قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ ﴾[الأحزاب:٢١] بجانب كل ذلك فقد كان قمة شماء في مكارم الأخلاق بعيداً عن العيوب والمساوئ فقد قال تعالى فيه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾[القلم:٤]، فاجتمعت فيه ﷺ كل الصفات الجميلة والأخلاق الرفيعة الذي لم يصل إليها إنسان من قبل ومن بعد رغم أنه ﷺ بشر من بني آدم وليس من الملائكة قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾[الكهف:١١٠]، وفوق كل ذلك كان أُمياً لكن الله تعالى أدبه وعلمه واختاره خاتماً للأنبياء والمرسلين وأنزل عليه القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ ﴾[الشورى:٥٢]، لذلك كان ﷺ نوراً من الله، وقد وصفه تعالى وصفاً دقيقاً وشاملاً موضحاً عز وجل مهمة رسوله وواجباته في أبلغ كلام وأدق معنى فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ ﴾[الأحزاب: ٤٥، ٤٦، ٤٧] ومن أروع ما حصل عن آثاره وأقواله وأفعاله ﷺ أن كثيراً من المؤلفين كتبوا ولا زالوا يكتبون عن سيرته ﷺ ودراسة سيرته وتحليلها واستخراج الدروس المستفادة منها، ولازالت تلك الدراسات مستمرة ولازال الناس حتى الأجانب من غير المسلمين ينبهرون بسيرته ﷺ والتأثير الكبير المستمر إلى يوم القيامة على العالم حتى ألفت الكتب عن أشهر وأعظم الناس في العالم فكان ﷺ الأول في القائمة بدون منازع فما أحرانا نحن المسلمين عسكريين ومدنيين أن نزداد حرصاً على اتخاذ رسولنا وقائدنا ومعلمنا الأول قدوة ومثالاً يحتذى به وما أحرانا نحن العسكريين أن نتذكر صفاته ﷺ ونحاول بكل ما آتانا الله تعالى من قوة وعلم أن نحاكيها ونستفيد

منها ، والحديث لا يكاد ينتهي عن سيرته ﷺ، ولعلنا نحاول بعون الله تعالى أن نتحدث عنه ﷺ كقائد عسكري ونتلمس الطريق إلى معرفة ولو بعض صفاته وأساليبه في الحروب.

خطة الرسول ﷺ كقائد عسكري:

أول ما فكر فيه ﷺ للدعوة لنشر الإسلام أن يضع خطة عامة وخطة خاصة أما الخطة العامة[1]، فتوضح الغاية والأهداف التي يسعى ﷺ لتحقيقها وهو ما يسمى بـ (الإستراتيجية) وكان الهدف الأول للإستراتيجية أن تكون كلمة الله هي العليا في العالم ولكن الأهداف كثيرة فيجب أن توضع الأولويات (الأهم قبل المهم) فكان أول الأولويات أن تدخل قريش في الإسلام لأن قريش زعيمة قبائل العرب وتسكن مكة المكرمة التي بها بيت الله العتيق والتي يحج إليها الناس من كل مكان ومكث عليه السلام في مكة (١٣) عاماً يحاول فيها أن يُدخل قريشاً في الإسلام فلم يُسلم منهم إلا القليل فخرج عليه السلام إلى الطائف لعل أهلها يسلمون ولم يجد منهم ﷺ سوى السب والأذى وكان حريصاً أن تكون مكة القاعدة التي ينطلق منها الإسلام لكن هذا لم يتم ففكر ﷺ أن يبحث عن قاعدة أخرى بدلاً من مكة لينطلق منها الإسلام، وتكون قاعدة آمنة ثابتة فاختار عليه السلام المدينة المنورة وبدأ يعرض نفسه على القبائل في المواسم حتى آمن به بعض الأوس والخزرج من القبائل التي تسكن المدينة، وتمت المبايعة في العقبة الأولى ثم الثانية (الكبرى) وأمر ﷺ من آمن في مكة أن يهاجروا إلى المدينة تدريجياً ثم هاجر ﷺ وأبو بكر الصديق ﷺ إلى المدينة لما أمره الله بذلك، وبعد أن استقر ﷺ في المدينة وبعد أن نزل قول الله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ .... وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[الفتح:٣٩-٤٠-٤١]، وبهذه الآيات البينات انطلق جهاد المسلمين من المدينة المنورة لتكون كلمة الله هي العليا.

تنفيذ الخطة:

بعد أن رسم ﷺ إستراتيجيته وخطته العامة وأوجد قاعدة آمنه غير مكة ووضع الأولويات وبعد أن أذن الله تعالى له بالجهاد فكان يجب أن تتم مراحل التنفيذ ولتكون الخطة ناجحة وقابلة للتنفيذ فلا بد من تحديد عناصر تنفيذ الخطة وأهم ما يجب وضعة في الاعتبار لمراحل تنفيذ الخطة هي العناصر الآتية:

العنصر الأول : هدف الخطة الرئيس:

العنصر الثاني: تحديد الأعداء والمقاومين للخطة وقدراتهم:

العنصر الثالث: تحديد الوسائل المطلوبة لتنفيذ الخطة من الرجال والعتاد والمؤنة (الإمدادات)

(١)كتاب دروس عسكرية من السيرة النبوية تأليف اللواء ركن/محمود شبت خطاب وعبداللطيف زايد.

وبالنسبة لهدف الخطة الرئيس فمعروف وهو أن تكون كلمة الله هي العليا، وأما تحديد الأعداء والمقاومين للخطة وقدراتهم فكانوا على النحو الآتي:

١ــ المشركون من العرب (قريش والقبائل الأخرى).

٢ــ اليهود الذين يسكنون المدينة وكذلك الذين يسكنون خارجها مثل خيبر ووادي القرى وتيماء.

٣ــ الكفار حول الجزيرة العربية.

أمام هذه العناصر وتلك الأخطار وجد القائد والمعلم الأول ﷺ أن يركز وتكون الأولوية هو القضاء على قوة قريش وسلطانها لأن قريشاً تعتبر حامية للمشركين وتضع الأصنام والأوثان بالبيت الحرام وباعتبار قريش زعيمة قبائل العرب فلو دخلت في الإسلام لسارع بقية العرب للدخول فيه ثم إن قريشاً هي التي آذته وأخرجته من مكة وهو راغب في البقاء فيها بل تآمرت على قتله عليه السلام، أمام كل ذلك فلا بد من محاربة قريش والقضاء على سلطانها، لذلك قام ﷺ بقيادة (٢٨) غزوة بنفسه في مختلف الاتجاهات ليدخل هيبة المسلمين في نفوس المشركين وليفكروا في الإسلام ويمتنعوا عن محاربة المسلمين وكان من أهم الغزوات للقضاء على سلطان قريش هي معركة بدر الكبرى ثم فتح مكة المكرمة ودخل الناس الإسلام أفواجاً ويطهر البيت الحرام من الأصنام ونصر الله جنده، أما بالنسبة لليهود فقد عقد ﷺ معهم معاهده حتى يسلم من شرهم وخيانتهم وآمنهم على عقيدتهم ودمائهم وأموالهم ولكن لما غدروا فكان لا بد من القضاء عليهم تدريجياً في المدينة ثم خارجها، وهذا ما حصل بالنسبة للكفار حول الجزيرة العربية الذي أخافهم عليه السلام وأدخل الرعب في قلوبهم دون الدخول في حرب معهم مثلما حصل في غزوة تبوك ضد الروم وأعوانهم.

الخطة الخاصة:

كما ذكرنا أن للنبي ﷺ خطتين (خاصة وعامة) وقد شرحنا الخطة العامة (الإستراتيجية) أما بالنسبة للخطة الخاصة فكل معركة أو غزوة يخطط لها ﷺ حسب الظروف التي تحيط بالمعركة وموقعها وعدد الأعداء، وكان ﷺ يحدد مكان كل فرقة وينظم الصفوف بنفسه ويتفقد الجند ويزودهم بالتوجيهات والأوامر وتصله الأخبار من العيون (الاستخبارات) التي يرسلها إلى الجهات الذي يعتزم غزوها فيستفيد من المعلومات وإذا ما اقتضى الأمر إلى تغيير الخطة فيسارع ﷺ لتغييرها بدون تردد.

الإعداد الكامل للمعركة:

يبذل ﷺ جهوداً كبيرة في الإعداد للمعارك وحسن قيادتها وإدارتها واضعاً ﷺ الأمور المعنوية والمادية في الاعتبار حتى يتحقق بعون الله تعالى النصر علي الأعداء وكان ﷺ يطبق أمر الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[الأنفال:٦٠] ويمكن أن نقسم خطوات الإعداد للمعركة

إلى الخطوات الـــ١٤) التالية: ١- الإعداد المعنوي، ٢- الإعداد المادي، ٣- الشورى، ٤- العلاقة والصلة بالجنود، ٥- تحطيم الروح المعنوية للعدو، ٦- تفتيت قوة العدو في الميدان، ٧- التفاؤل والأمل، ٨- الحزم والسرعة في مواجهة المشكلات، ٩-تنظيم الجيش، ١٠- الطاعة والانضباط، ١١- الكتمان والسرية، ١٢- المباغتة والمفاجئة، ١٣- الاستخبارات والطلائع، ١٤- الحراسة.

والآن نأتي إلى التفاصيل بإيجاز:

أولاً: الإعداد المعنوي: هم رأس الأمر وأهم ما يجب أن يفكر به القائد العسكري المثالي لأهمية ذلك قبل المعركة وأثنائها وبعدها للحفاظ على ارتفاع الروح المعنوية وحث المسلمين على الجهاد في سبيل الله والذي يؤدي إلى إصرار المقاتلين على النصر بأمر الله تعالى وعدم انخفاض معنوياتهم مهما يروا من سطوة العدو وقوته ولا يخشون إلا الله تعالى، وقد استطاع ﷺ باهتمامه الكبير بالمعنويات أن يجعل من العرب الرعاة الصعاليك قوة خطيرة يخشاها الروم والفرس وهما أكبر دولتين في ذلك الزمن واستطاع ﷺ وبعون الله تعالى أن يجعل من القلة كثرة ومن الضعف قوة ومن الفتيان الصغار قادة ومعلمين ومن الأسلحة البدائية عتاداً قوياً بأيدي أبطال مجاهدين وغر ميامين وقد اعتمد ﷺ للإعداد المعنوي على القرآن الكريم وما ورد فيه من الآيات البينات تحث على الإيمان والجهاد والتبشير بالجنة وما عند الله من نعيم وبكلماته ﷺ الموجزة البليغة وبالقدوة الحسنة منه ﷺ استطاع بجداره إعداد الجند إعدادا عالياً لا مثيل له بجانب حثهم على الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن الكريم والتعاون فيما بينهم.

ثانياً: الإعداد المادي: كما اهتم ﷺ بالناحية المعنوية لم يغب عليه الناحية المادية، ويمكن أن نقسم هذا الإعداد إلى الأمور الخمسة الآتية:

أ- الطعام والشراب (الإعاشة)، ب- الصحة وقوة الجسم، ج- الأسلحة والعتاد، د- النقل، هـ - التدريب.

أ- الطعام والشراب: وهو ما يسمى هذه الأيام عند العسكريين بالإعاشة فقد اهتم النبي ﷺ بتوفير الطعام والماء لجميع الجنود وبشكل متقشف حتى لا يكون حمل الطعام وكثرته حملاً ثقيلاً أو تسبب كثرته التخمة والكسل وضياع كثير من الوقت في تناول الطعام كما حرص ﷺ على الطعام والشراب باعتباره وقوداً للجسم يسبب له القوة وتحمل المشقة وكان المسلمون بقيادته ﷺ يعسكرون حول الآبار ويحمونها فيشربون ولا يشرب العدو.

ب- الصحة وقوة الجسم: كان يحرص ﷺ أن تكون أجسام الجند صحيحة فلا يأكلون إلا ما صلح من الطعام ولا يشربون إلا من الماء الطيب الذي يغتسلون منه ويتوضئون كما حرص ﷺ على

مداواة الجرحى ودفن الشهداء ومعرفة المصابين والمتوفين ليعرف بذلك ذويهم ومن كلفهم عليه السلام بشؤون المرضى والشهداء.

جـ – الأسلحة والعتاد: كانت أسلحة المسلمين في بداية الأمر قليلة وقد ورد في بداية المعارك الأولى أن كل ثلاثة يحاربون بسيف واحد لكن بعد ذلك وفر ﷺ السلاح الجيد بالعدد المطلوب واستخدم كل وسيلة لذلك فعندما حاصر بني النضير وبني قينقاع من يهود المدينة أصر ﷺ أن يأخذ منهم السلاح حتى لا يستخدمونه ضد المسلمين وفي نفس الوقت يوزعه على المقاتلين المسلمين وفي غزوة خيبر حصل ﷺ على الدبابات وأيضا على المنجنيق من اليهود واستعمل هذه الأسلحة (التي تعتبر حديثة في ذلك الزمان) استعملها ﷺ في حصار الطائف وعندما تحرك ﷺ بعد الفتح لمواجهة هوازن وثقيف استعار دروعاً من صفوان بن أمية ليتدرع بها المسلمون وأرسل ﷺ بعثة من بعض المسلمين إلى جرش في الأردن ليشتروا أسلحة من هناك والذي قدم بها خالد بن سعيد بن العاص، وكانت كتيبة المهاجرين والأنصار التي تحرك بين رجالها الرسول ﷺ وهو يدخل مكة للفتح كانت مدججة بالسلاح والدروع ولا يرى الناظر إلا الحديد والسلاح حتى ذهل أبو سفيان من هذا المنظر المهيب وقال للعباس رضي الله عنه: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما! فرد عليه العباس قائلاً: إنها النبوة.

د– النقل: لا شك أنه ﷺ اهتم كثيراً بوجود الخيل والجمال التي تنقل الرجال ومؤونتهم إلى مكان المعركة واهتم ﷺ بالحصول على أصائل الخيل وكان يحث القادر من صحابته رضي الله عنهم على التعاون وتجهيز المجاهدين بما يحتاجوه وكان يقول لهم: "**من جهز غازياً فقد غزا**" رواه مسلم، وكانت أعداد الجمال والخيل قليلة في بداية المعارك حتى كان المسلمون في غزوة بدر يتعاقب كل ثلاثة أو أربعة على بعير واحد ثم ازدادت أعداد الجمال والخيول بما غنموه من العدو وما اشتروه.

هـ – التدريب: كان ﷺ يحث المسلمين على التدريب على فنون القتال والجهاد ويشترك معهم كلما أمكن ذلك فحينما وجد جماعتين من المسلمين يتبارون في الرمي قال ﷺ: "**ارموا بني إسماعيل فأن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان**" فأمسك الآخرون وقالوا: كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال ﷺ: "**ارموا وأنا معكم**" رواه البخاري، كما كان يشجع المسلمين على الرمي وصناعة السلاح وإسناد المسلمين به فقد قال ﷺ: "**إن الله يدخل الجنة بالسهم الواحد ثلاثة نفر، صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله**" ذكره أبو داود في الترغيب.

ثالثاً: الشورى: لاشك أنه ﷺ يستشير صحابته رضي الله عنهم وكافة من يعرف من المسلمين حتى لو كانوا صغاراً في السن رغم أنه يوحى إليه وعلى درجة عالية من الفطنة والذكاء ونفاذ البصيرة والحكمة رغم ذلك فقد يتنازل عن رأيه إذا اتضح أن هناك رأي أصوب، وهو بالشورى يطبق أمر الله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[الشورى:٣٨]، كما أنه بالتشاور يحس المسلمون

بأهمية رأيهم مما يزيد في ثقتهم بأنفسهم ويرفع معنوياتهم ويشعرهم بالمسؤولية والمشاركة في خطط العمليات وخاصة أنه ﷺ لا بد أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى فلا بد أن يُحَمِل كبار الصحابة وأعوانهم المسؤولية بالتدريج ويجعلهم يشعرون أنهم إخوة يتشاورون ويعملون كفريق واحد.

رابعاً: العلاقة والصلة بالجنود: كانت علاقته ﷺ بجنوده علاقة القائد بإخوانه يتفقدهم ويسأل عنهم ويدعو لهم وقد بادلوه ﷺ حباً بحب وأطاعوه في السفر والحضر وفي الحرب والسلام، وفي معركة أحد ثبت ﷺ في مكانه ونال منه المشركون ما نالوا وكسرت رباعيته ودخلت حلقتان من المغفر في وجنتيه الشريفتين وهو ثابت في مكانه في وجه العدو، وأصحابه حوله يتبادلون الأدوار لحمايته ومنافحة الأعداء تارة أخرى وثبت بين يديه الكريمتين ثلاثون رجلاً كل واحد منهم يقول: (وجهي دون وجهك ونفسي دون نفسك وعليك السلام غير مودع) وحتى قال زعيم المشركين آنذاك أبو سفيان: (ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً) وهناك الكثير من القصص الرائعة عن حب الرسول ﷺ للمسلمين وحبهم له لا يسع المجال لذكر بعضها.

خامساً: تحطيم الروح المعنوية للعدو: بينما حرص ﷺ لرفع معنويات جنده بكل الوسائل المعنوية والمادية حرص أيضا على تقويض الروح المعنوية لأعدائه حتى يستسلموا أو يفروا أو تخور قواهم فيسهل الانتصار عليهم بأمر الله ويحقن دماء المسلمين وحتى دماء الأعداء لعلهم يدخلون الإسلام ومن أهم الأسباب التي تخفض الروح المعنوية للأعداء الهتاف بالله أكبر من مجموعة من المسلمين فيسمعها الأعداء فتزلزلهم زلزالاً كبيراً ويسمعون التكبير من الحناجر المؤمنة القوية الجهورية فكأنه صوت الرعد أو زئير الأسود تردد صداه الأرض ومن الأمثلة على ذلك أنه حينما هاجمه ﷺ اليهود في خيبر أخذ ﷺ يهتف: "الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين" فكان لذلك الصوت الحق تأثيره الكبير على انخفاض معنويات اليهود، كما أمر ﷺ عمه العباس ﷺ بحبس أبا سفيان عند مضيق الوادي عند فتح مكة حتى يرى كتائب الجيش الإسلامي وهي تمر الواحدة تلو الأخرى بكامل أسلحتهم ودروعهم فخاف أبو سفيان وأخذ يصرخ في قريش: (لقد أتاكم محمد بما لا قبل لكم به).

سادساً: تفتيت قوة العدو في الميدان: حرص ﷺ على تفتيت قوة العدو في الميدان كما فعل بتحطيم روحهم المعنوية قبل المعركة ــ كما ذكرنا ــ وهذا من صفات القائد الناجح الذي يحقن دماء جنده أو يخفف سطوة العدو عليهم بخلخلة وتفكيك الروح المعنوية لتصبح هشة ففي يوم الأحزاب أرسل ﷺ إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف وهما قائدا قبيلة غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه ﷺ وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا العزم على المصالحة فلما أراد ﷺ أن يُتم الصلح بعث يستشير سعد بن معاذ وصحابي

آخر فرد سعد: لا تعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فتوقف العرض والصلح من موقف قوي من المسلمين فأثر في معنويات غطفان تأثيراً كبيراً، وهناك مواقف كثيرة توضح فطنته وذكائه عليه السلام في تفتيت معنويات الأعداء وهم في الميدان يريدون الحرب.

سابعاً: التفاؤل والأمل: من أسباب ووسائل رفع المعنويات بث التفاؤل والأمل في نفوس الجنود حتى تمتلئ قلوبهم بالأمل والثقة في نصر الله تعالى في المستقبل وهذا ما كان يطبقه رسول الله ﷺ ومن الأمثلة السريعة على سياسته ﷺ في هذا الجانب ما روى أن خباب بن الأرت جاء إليه ﷺ قبل الهجرة في الفترة التي شددت فيها قريش قبضتها على المسلمين جاء إلى النبي ﷺ وهو متوسد برده بجوار الكعبة بعد أن ألهبت ظهره السياط وشوت جلده النار وأحرقته الشمس وأنهكه التعذيب فقال يا رسول الله ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فاغتنم ﷺ الفرصة ولقن خباب ثلاثة دروس الأول في الصبر والثبات على المحن والبلاء والدرس الثاني أعطاه البشارة بالنصر والتأييد والتمكين في الأرض والثالث بينّ له أن طبيعة الإنسان التعجل ولكن الأفضل الصبر والتريث وترك ﷺ الأمور تسير كما قدر الله تعالى ما دام المؤمنون يؤدون واجباتهم ويجاهدون في سبيل الله ويدعون إلى الحق، كما كان ﷺ طلق المحيا بشوشاً وكثير الابتسام ولا يعلو وجهه الكريم الحزن أو القلق بسبب التعبئة والحشد وخشية الحرب ولذلك كان منطلق السريرة يتحدث إلى الناس بهدوء وبحكمة وكل ذلك يؤثر على معنويات المقاتلين ويبث الأمل والتفاؤل في نفوسهم.

ثامناً: الحزم والسرعة في مواجهة المشكلات: بعد هزيمة المسلمين في معركة أحد واستشهاد سبعين صحابياً وإصابة عدداً كبيراً من المسلمين بجراحات بالغة رغم كل ذلك أمر الرسول ﷺ المسلمين للخروج معه إلى حمراء الأسد لتعقب قريش ومكث مرابطاً ثلاثة أيام وشاع أمر هذه الخرجة بين قبائل العرب فرد إلى المسلمين اعتبارهم وسمعتهم ووصل ذلك إلى أبي سفيان وجيشه فاستمرأ الاتجاه إلى مكة لا يلوي على شيء وهكذا تجد الرسول ﷺ قوياً وحازماً وسريعاً في اتخاذ القرار الصحيح في مواجهة المشاكل الصعبة ولا تنقص أبداً من عزيمته المعضلات والمواقف الصعبة.

تاسعاً: تنظيم الجيش: تنظيم الجيش من الأمور الهامة الذي يسعى إليها القائد لأنه بدون التنظيم تدب الفوضى في الميدان وتعوج الصفوف وتتعثر الأوامر ويساعد كل ذلك على التفكك وعدم الانضباط لذلك حرص ﷺ على حسن تنظيم الجيش الإسلامي وذلك بترتيب الصفوف لأن الله تعالى يحب الذين يقاتلون في سبيله أن تكون صفوفهم منتظمة كأنهم بنيان مرصوص وعندما تكون الصفوف منتظمة يعرف القائد عن استعداد جنوده وخاصة إذا ما كانت قاماتهم مشدودة ورؤوسهم مرفوعة وعليهم أسلحتهم ودروعهم ويستطيع القائد أن يتحدث إليهم ويرى شخصياتهم ويعرف مدى لياقتهم البدنية والنفسية وكان يحرص ﷺ أن يسوى صفوف المسلمين بنفسه ويتحدث معهم ويطلب

منهم الاستقامة إذا ما كان هناك اعوجاج في الصف كما حصل لسواد بن غزية عندما كان بارزاً في الصف فغمزه ﷺ بعود في يده بلطف وقال له: "**استقم يا سواد**"، وقَبِل ﷺ بناء العريش في يوم بدر حتى يُشرف على المعركة ويديرها وهو في مكان حصين، وكان ﷺ في يوم بدر يعطي المسلمين الأوامر بقوله ﷺ: "**إذا اكتنفتم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل**" كما جاء في السيرة النبوية لابن كثير، وكان يقول للمسلمين في يوم خيبر: "**ثم الزموا الأرض جلوساً فإذا غشوكم فانهضوا وكبروا**" حسبما أورده باشميل في فتح خيبر ويقصد بالجلوس والنهوض في أيامنا هذه هو الامتداد أو الجلوس على الأرض حتى لا يراهم العدو ولا يتمكن من رميهم ثم يقوموا سريعاً وينهضوا فيراهم العدو فجأة وهم يكبرون بصوت واحد فيهابهم العدو، وقد يقومون فجأة برمي العدو وكان يحرص ﷺ على حُسن تنظيم النساء المشتركات في العمليات الحربية ويجعل عليهن قائماً حتى يستتب النظام وما ذكرناه يخص تنظيم الجيش في الميدان ولا ننسى أهمية التنظيم الإداري القيادي الذي يتطلب حسن التخطيط والتنظيم الإداري والتوجيه والتنسيق والمراقبة وكل تلك الأمور وبشكل مبسط لا تخفى عليه ﷺ وفقاً للظروف الغير معقدة في تلك الأيام.

عاشراً: الطاعة والانضباط: حرص رسول الله ﷺ على الانضباط وضبط النفس والالتزام بالعهود وقبل ذلك طاعة الله تعالى وتقواه فيما أمر تعالى ونهى عنه ومن الأمثلة على الانضباط أنه عندما خرج ﷺ يوم الحديبية للطواف بالبيت وكان هذا هو المقصد وأعلن ﷺ بهذه النية وساقوا الهدى أمامهم وقدموه ليذبح عند الحرم ولكن قريشاً رفضت دخوله ﷺ بهذه الطريقة وبعد السفارة بين الرسول ﷺ وقريش جاء سهيل بن عمرو وتم عقد الصلح وتميز الرسول ﷺ بالانضباط وحبس الأنفاس هو وأغلب المسلمين عند كتابة العقد وإملاء الشروط وكان بعض المسلمين ومعهم عمر بن الخطاب ﷺ غير مستريحين لهذه الشروط وخاصة أنه ﷺ قد أخبرهم أنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت وكان يُصَبِر المسلمين ويقول لهم: "أنا رسول الله ولن أخالف أمره ولن يضيعني" حسبما ورد في كتاب امتاع الأسماع، وكان يمنع بعض الصحابة الذين يتقدمون على أباعرهم ويتركون المسلمين خلفهم ويأمرهم بالرجوع إلى الصف ولا شك أن الطاعة والانضباط باحترام الأوامر وتنفيذها في حضور القائد أو غيابه من أهم الأمور العسكرية ولا يمكن بالمناسبة هذه أن ننسى عدم انضباط المقاتلين الذي كانوا على جبل الرماة بمعركة أحد والذي صدرت لهم الأوامر الواضحة من النبي ﷺ أن لا يتركوا أماكنهم وأن تدعموا ظهور المسلمين ولكنهم خالفوا الأمر وطمعوا في الغنائم وظنوا أن المُسلمين قد ظهروا على مشركي قريش فحصل ما حصل في صالح قريش لذلك كله فالانضباط هو العمود الفقري للجيوش.

حادي عشر: الكتمان والسرية: من الأمور المهمة التي لا ينساها القادة هو المحافظة على المعلومات الحساسة وخاصة ما يتعلق بوقت تحرك الجنود للمعركة ووجهتهم وأسلحتهم ومؤونتهم وكان ﷺ حريصاً على كتمان تحركاته العسكرية وحتى القادة في العصر الحديث حريصين جداً على كتمان سر تحركاتهم وأي معلومات حساسة فمثلاً القائد الفرنسي (نابليون) عند تحركه بأسطوله إلى مصر أخفى ذلك حتى لا يعلم به الإنجليز وفعلاً لم يستطع الأسطول الإنجليزي اللحاق به إلا بعد وصوله (أبي قير) بجوار الإسكندرية وقد نزل الجند إلى أرض مصر ومن مظاهر جيش المسلمين أن لا يحس بهم العدو ولا يشعر بهم إلا وهم على رأس العدو وفوق أرضه وهناك الرسائل المختومة التي يعتبر الرسول ﷺ الرائد فيها والتي يحملها الجيش ولا يعرف مضمونها إلا بعد التوجه للعدو ثم يفضها القائد المسؤول في الوقت والمكان المناسبين حسب أوامره ﷺ، وفي يوم الفتح قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: "جهزينا وأخفي أمرك"، وقال ﷺ: "**اللهم خذ من قريش الأخبار والعيون حتى نأتيهم بغتة**" ورد هذا في كتاب إمتاع الأسماع.

اثنا عشر: المباغتة والمفاجئة: المباغتة ومفاجئة العدو لها علاقة مباشرة بكتمان السر ولكن لأهمية هذا العنصر في الحرب فقد رغبنا أن نتحدث عنه على انفراد، فقد حرص رسول الله ﷺ أن يفاجئ العدو بغتة حتى لا يكون مستعداً وجاهزاً للقتال فينتصر عليه بأمره تعالى ويحقن ما أمكن من دماء المسلمين لذلك فإذا كان ينوي الاتجاه إلى الشمال فأنه يبدأ بالتوجه للشرق ليوهم الناس بأنه يتجه إلى الشرق وليس الشمال ومثال ذلك أنه عندما أصيب خبيب وأصحابه خرج الرسول ﷺ طالباً بدمائهم ليصيب من بني لحيان غرة فسلك ﷺ طريق الشام ليُرى الناس أنه لا يريد بني لحيان حتى نزل بأرضهم بغتة والأمثلة كثيرة على استخدام عنصر المفاجئة.

ثلاثة عشر: الاستخبارات والطلائع: من البديهي أن يحرص القائد على توفر المعلومات الصحيحة عن العدو في الوقت والمكان المناسبين حتى يحلل هذه المعلومات ويتخذ القرارات التي تساعد على إلحاق الهزيمة بالعدو وعدم قيام العدو بمباغتة جيش المسلمين، وكان ﷺ وأبو بكر الصديق ﷺ يوم بدر يجمعان المعلومات عن قريش وأعدادهم وموعد وصولهم بدراً وكانت طلائعه ﷺ تسأل عن مقدار ما تذبح قريش من الإبل وبذلك يحصون أعدادهم لأن كل بعير يُنحر يكفي مائة رجل وبذلك يمكن حساب تعداد الجيش، ونظراً لغدر يهود وخيانتهم ونقضهم العهود فكان ﷺ يسمع أخبار تحركاتهم فيرسل لهم الطلائع وكلما عرف بغدرهم تفاءل بأن الله سينصره عليهم وكان يقول: "**الله أكبر ابشروا يا معشر المسلمين**" فما دام الله تعالى كشف أمرهم فإنه عز وجل سينصر المؤمنين ويخذل المنافقين.

أربعة عشر: الحراسة: اهتم ﷺ بأمن وسلامة المسلمين وخاصة عند راحتهم وسكونهم فاستخدم الحرس لحماية المسلمين وهو ما يسمى في هذه الأيام برجال الشرطة الذين يقومون بالأمن والحماية على الوحدات العسكرية ويسهرون الليل وأطراف النهار على الأمن والسلامة ويطوفون بالمعسكر لضمان الأمن وقد قال ﷺ بعد صلاة العشاء في أحد الليالي "**من يحفظنا الليلة**"؟ فقام ذكوان بن عبد قيس فلبس درعه وأخذ درقته فكان يطوف بالمعسكر يحرسهم طول ليلته، وكان يهتم ﷺ بحراسة المدينة عندما يخرج في الغزوات، وهكذا كان ﷺ لا يترك ثغرة إلا ويسدها ويخشى على المسلمين أن يؤثر ذلك على أمنهم وسلامتهم فيستخدم الحرس.

وهكذا نجد أن محمداً ﷺ كان قائداً عسكرياً ماهراً لا يفوته أي واجب يؤدي إلى انتصار المسلمين إلا وقام به وليس هذا بغريب عليه ﷺ ويكفي أنه ﷺ بهذا التصرف والوعي والحكمة قد نصره الله ثم تخرجت من مدرسته النبوية عباقرة القادة الذي فتحوا الأمصار وأقاموا العدل وأمروا بالتسامح والمحبة في جميع البلاد التي فتحوها.

خامساً: القائد المسلم في العصر الحديث وأهم صفاته:

مقدمة: كانت ولا زالت القيادة مجالاً للمناقشة والحوار في تعريفها والاتفاق على أهم صفات القائد الناجح وذلك نظراً لأن القائد وخاصة العسكري هو أهم عناصر النجاح لكسب المعركة في الحروب بأمر الله تعالى ولا يتوقف دوره في الحرب بل يمتد دوره في السلم لأنه يغتنم السلم للتدريب وللتمارين ولإعادة التنظيم والاهتمام بكل ما يتعلق بالعقيدة العسكرية والتنظيم وكل الأمور القيادية والإدارية، والقائد على جميع المستويات العليا والمتوسطة والدنيا هو نصيب الأمة وحجر الزاوية لتأثيره الكبير على أعوانه ومرؤوسيه والمهام الموكلة إليه والمطلوب منه تنفيذها والغاية التي يسعى لتحقيقها وخاصة في وقت الحروب والأزمات لذلك فإن كل ما يتعلق بالقيادة هو من أهم الأمور التي يجب بحثها والاستفادة من سير عظماء القادة الذين كان لهم تأثيرهم الذي لا تزال تحس به الشعوب والأمم حتى الآن والقادة وخاصة في المستويات الرفيعة وفي وقت الأزمات والحروب تعتمد عليهم الأمة وبقدر ما يكونون على مستوى المسؤولية والأمانة كلما شعرت الأمة بالارتياح وحققت النصر بعونه تعالى وعلى النقيض كلما كان القادة الكبار لا يتمتعون بالصفات المطلوبة منهم ولا يقدرون على القيام بمسؤولياتهم بكل صبر وأمانة فإن أمتهم تتعرض للهوان والخذلان وتعرض بلادهم للاحتلال.

وبعد أن تحدثنا عن سيرة القائد والمعلم الأول محمد ﷺ في الحروب فلا يسعنا هنا إلا أن نورد موجزاً عن تعريف القيادة وفنها والصلاحية والمسؤولية ثم نورد أهم صفات القائد متأثرين بما يتمتع به رسول الله ﷺ من صفات وما يتردد في كليات القيادة والأركان عن هذا الموضوع من نظريات وآراء.

تعريف القيادة: هي السلطة التي يمارسها شخص ما في الخدمة العسكرية في ظل نظام يخوله ذلك[1].

فن القيادة: هي فن التأثير على المرؤوسين بطريقة توصلهم إلى إنجاز المهام.

القائد: هو الشخص الذي يستطيع أن يؤثر على مرؤوسيه ليجعلهم ينجزون المهام بذكاء وبأقل التكاليف وفي أسرع وقت ممكن.

الصلاحية: هي السلطة القانونية المعطاة للقائد لتوجيه مرؤوسيه واتخاذ الأوامر اللازمة الذي تمليه عليه وظيفته.

المسؤولية: هي الالتزام الذي يقع على عاتق القائد ويتحمل بالتالي تبعات عمله سلباً أو إيجاباً والمسؤولية مرتبطة ارتباطا وثيقاً بالصلاحية، فالقادة يمارسون الصلاحيات المخولة لهم لمواجهة المسؤوليات الملقاة عليهم لإنجاز المهام المسؤولين عنها.

أهم صفات القائد:

مقدمة: بالرغم من أن صفات القائد تعتبر مرشداً جيداً لتطوير شخصية القائد إلا أن طبيعة المهمة والموقف إضافة لحجم القيادة ونوعية المرؤوسين لكل ذلك له تأثير مباشر على ما يجب على القائد تطبيقه حسب الظروف التي تحيط به لذلك فمن ذكاء القيادة وفطنتها وكذلك ذكاء القائد أن يتعايش مع الموقف وحجم المسؤولية ويحسن اختيار المرؤوسين ويتصرف بروية وحكمة ليسعى بعون الله تعالى إلى تحقيق النجاح في مهمته.

أهم صفات القائد:

وجدت أن الصفات الـ(١٥) الواردة أدناه هي أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها القائد وقد بدأت بالصفات الأهم واليكم التفاصيل:

١- **الاستقامة:** وهي الالتزام بما أمر الله به ونهى عنه والتحلي بمكارم الأخلاق وأن يكون وسطاً متوازناً في جميع أوقاته.

٢- **المعرفة:** عليه أن يُلم بكل المعلومات أو أهمها وخاصة المتعلقة بعمله ويحرص على القراءة والإطلاع وتثقيف نفسه لتقوى الثقة بنفسه ويحسن التصرف ويحترمه مرؤوسيه ومن يتعامل معه.

٣- **الأمانة:** أن يتحمل المسؤولية الملقاة عليه ويقوم بكل الواجبات المطلوبة منه بأعلى مستويات النزاهة وأن يكون شجاعاً لا يخشى إلا الله تعالى ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله.

(١) كتب فن القيادة العسكرية طبعة ٢٠٠٢م كلية القيادة والأركان السعوديه بعد تعديلات محدودة فيما ورد عن فن القيادة في هذا الكتب.

٤- **العدل:** أن يكون منصفاً ويساوي بين الناس ولا يتحيز ولا يحابي ولا يظلم أحداً.

٥- **القوة:** يكون قوياً في عقيدته وفي عقله وفي جسمه فلا مكان للقائد الضعيف والقائد القوي هو الذي يتحمل الصعاب ويصبر على المتاعب والمهام.

٦- **الشجاعة:** يتمتع بقدرة على السيطرة على الخوف حتى يتحمل المسؤوليات بصدر رحب والشجاعة مطلوبة في الميدان وفي السلم (الشجاعة المادية والأدبية).

٧- الحزم واتخاذ القرار: يجب أن يكون القائد حازماً في المواقف فلا يتردد فعليه أن يدرس الأمور بسرعة تتناسب مع الموقف ثم يتخذ القرار قبل فوات الأوان.

٨- **الثقة بالنفس:** توفر اليقين وحسن نية القائد واستقامته كل ذلك يساعده على أن يثق بالله تعالى ثم بنفسه بدون تهور.

٩- **المبادرة:** المهارة في تقدير الأمور ومحبة العمل والتمتع بالحكمة كل ذلك يسهل على القائد أن يبادر باتخاذ القرارات في غياب الأوامر ويحسن التصرف وأن يتقدم بالاقتراحات البناءة التي تساعد على تنفيذ المهام وخدمة المصلحة العامة ولا ينتظر حتى يُطلب منه ذلك.

١٠- **الحماس:** إبداء الرغبة المخلصة لإنجاز الواجب بدرجة عالية من الفعالية والمهارة والسرعة مع إيمان عميق بالغاية والأهداف المطلوب تحقيقها.

١١- **الولاء والإخلاص:** يجب أن يتمتع القائد بالولاء لله تعالى وطاعته ثم لولاة الأمر في غير معصية الله وخدمة الوطن وأن يقوم بكل ذلك بإخلاص ومحبة.

١٢- **الإيثار:** إنكار الذات ونبذ الأنانية ومحبة الناس في الله وإدخال السعادة إلى نفوسهم.

١٣- **القدرة الإدارية:** قدرة القائد على حُسن الإدارة من خلال تطبيقه لوظائف الإدارة الرئيسية (التخطيط، التنظيم، التوجيه، التنسيق، المراقبة).

١٤- **المظهر العام:** تعكس الهيئة العامة للقائد على نوع شخصيته فيجب الاهتمام باللياقة البدنية وبالملابس والزينة والقيافة بصفة عامة كل ذلك يترك انطباعاً مؤثراً على الناس ويتسارع المرؤوسون لتقليده.

١٥- **اللباقة والإنسانية:** القدرة على حسن التعامل مع الآخرين بطريقة تُكسب الاحترام ولا تخدش شعور الناس وكذلك القدرة على الاهتمام بأمور الآخرين ومشاركتهم أفراحهم وأتراحهم والمشاركة في حل مشاكلهم وإعطائهم حقوقهم ومساعلتهم عن واجباتهم والتفاعل معهم مما يؤدي إلى رفع المعنويات.

هذه أهم صفات القائد وليست كلها وبالاستقامة والعدل والمعرفة والقوة والمحبة والأخلاق وما ذكر من صفات أخرى يستطيع القائد الناجح أن يغطي ما يستطيع من بقية الصفات الثانوية التي لم

تذكر هنا التي تساعد على تكامل الشخصية كما في صفات القائد والمعلم الأول نبينا محمد ﷺ الذي جمع جميع الصفات بدون منازع يجب أن نتخذه ﷺقدوة عظيمة لنا جميعاً في كل أوجه الحياة ونتنافس فيما يمكن أن نصل إليه من مكارم أخلاقه ﷺ.

الخاتمة

تطرقنا في هذا البحث لأهم الأمور التي تندرج تحت مفهوم العسكرية في الإسلام على ضوء ما ورد في القرآن الكريم وتطرقنا للفن العسكري الإسلامي ومبادئه وكذلك تحدثنا عن العلم العسكري ثم تطرقنا للعقيدة العسكرية الإسلامية والتي تتركز على الجهاد وإعلاء كلمة الله تعالى وتطرقنا للجهاد وأحكامه وثمراته وفوائده وذكرنا أهمية طاعة ولاة الأمر وبالجهاد تعتز الأمة وتحافظ على كرامتها وقوتها ومنعتها ثم تشرفنا بالحديث عن الرسول ﷺ باعتباره القائد والمعلم الأول وسيرته ﷺ في الحرب وفي الأمور العسكرية بصفة عامة وهو ﷺ قمة شامخة في كل تصرفاته وأقواله وأعماله مما بهر العالم بإنجازاته الرائعة في وقت قصير جداً ونقل العرب من رعاة وصعاليك متحاربين إلى قادة ومصلحين مما أدى إلى فتح مجال كبير جداً للدراسات والبحوث في مجال القيادة والإنجازات الحضارية وبهذه الصفات العظيمة والعطاء السخي تخرج من المدرسة النبوية القادة والفاتحون والمصلحون حتى انتشر الإسلام وعم الأمن والسلام في ربوع العالم ثم انتهينا بعد ذلك للحديث عن القائد وأهم صفاته مستمدين ذلك من سيرة المصطفى ﷺ وما ورد من معلومات عن القيادة من كليات القيادة والأركان للقوات المسلحة.

التوصيات

يجب الاستفادة مما ذكر أعلاه بعد الدراسة والتعديل والإضافة إذا لزم الأمر ومن أهم الجهات التي تستفيد من مثل هذه البحوث الجهات التربوية العسكرية والمدارس والمعاهد والكليات العسكرية وإدارات الشئون الدينية التي تهدف لبناء الشخصية الإسلامية العسكرية المعتدلة وأن تتزود المكتبات بصورة من هذه الدارسة وأن تستمر هذه الفكرة في مسابقات القرآن الكريم العالمية الإسلامية التي يرعاها أكبر شخصية في وزارة الدفاع والطيران، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المراجع

١-كتاب دروس عسكرية من السيرة النبوية تأليف/ اللواء ركن-محمود شيت خطاب، وعبدالله زايد.
٢- كتاب العسكرية العربية الإسلامية تأليف/ اللواء ركن: محمود شيت خطاب، وعبدالله زايد.
٣- أطروحات وبحوث قام بها مجموعة من الضباط في كلية القيادة والأركان السعودية.
٤- كتيب فن القيادة العسكرية الطبعة عامة ٢٠٠٢م الثامنة/ كلية القيادة والأركان السعودية.
٥- كتاب بين العقيدة والجهاد تأليف اللواء ركن/ محمود شيت خطاب.
٦- منهج الإسلام في السلم والحرب تأليف العقيد ركن/ محمد مهنا العلي.
٧- الجهاد في الإسلام تأليف د. محمد سعيد البوطي.
٨- الفن العسكري الإسلامي تأليف/ د. العميد ركن/ ياسين سويد.
٩- روح الدين الإسلامي تأليف/ عفيف عبدالفتاح طياره.